

صورة الفرس في "العقد الفريد"

الدكتور جعفر دلشاد*

مريم جلائي**

الملخص

يبدو للمتأمل في "العقد الفريد"، أن ابن عبد ربّه الأندلسي قد ألف موسوعته الضخمة وما تشتمل عليه من ثقافة إسلامية – عربية ما يثير الإعجاب، وللمؤلف وقفات مع التراث الفارسي وردت متفرقة في ثنايا هذا السفر. ولو قدر أن يأتي تعريف للفرس وثقافتهم في كتاب ألف في الشرق العربي لاعتبرنا هذا الأمر طبيعياً وذلك لمجاورتهم البلدان العربية وما يلازمه من صلات.

في حين أننا نشاهد أن المسافة الجغرافية والتباين التاريخي والثقافي بين عرب الأندلس والفرس لم يكونا حاجزاً من أن تصل أخبار من بلاد فارس إلى أقصى الغرب العربي لتظهر في هذه الموسوعة الفريدة، وما يتّصف به هذا الشعب من تراث. وقد تجلّت أقوال ملوكهم وحكمائهم وخاصة في عصر بني ساسان في هذا الأثر، ولعلّ هذا الأمر يرشدنا إلى رصد التناص الأدبي، وإلى العلاقات التي كانت سائدة عندئذٍ.

* - أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان، إيران.

** - طالبة الدكتوراه في قسم اللغة العربية بجامعة إصفهان، إيران. (maryamjalaei@gmail.com)

تاريخ القبول: ١٥/٣/١٣٩٠هـ-ش

تاريخ الوصول: ٢٠/١٠/١٣٨٩هـ-ش

لقد حاولت هذه الدراسة جمع شتات ما ورد ذكره في "العقد الفريد" عن أدب ملوك الفرس وحكمائهم كي تضع أمام القارئ صورة عن الفرس من خلال الأدب الأندلسي.

كلمات مفتاحية: ابن عبد ربّه، العقد الفريد، الفرس، الأدب الأندلسي.

المقدمة

الحمدُ لله الذي جعلَ اختلافَ الشعوبِ آيةً للنَّاسِ لعلَّهم يتذكَّرون، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على النَّبِيِّ العربيِّ خاتمِ الأنبياءِ والمرسلينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ.

من المسلمِّ به أنَّ الأخذَ والعطاءَ ناموسٌ طبيعيٌّ يخضع له كلُّ شعبٍ له شيءٌ من الاحتكاكِ بسائرِ الشعوبِ، ونظراً لكونِ العربيةِ لغةَ الإسلامِ المبينِ، ولاعتناقِ جماعاتٍ كثيرةٍ من مختلفِ الحضاراتِ له، فقد أدَّى هذا الأمرُ إلى التبادلِ الفكريِّ والثقافيِّ في الأدبِ العربيِّ حتى صارَ يماً واسعاً تصبَّ فيه روافدُ الثقافاتِ الفارسيةِ، واليونانيةِ، والهنديةِ وغيرها. فإماطةُ الحجابِ عن هذه الروافدِ ستشكف عن جوانبٍ من المتعةِ والأنسِ في نفوسِ الشعوبِ المختلفةِ.

ولا يخامرنا شكٌ بأنَّ العربيةِ قد تأثرتْ بالفارسيةِ وحضارتها الباهرة أكثرَ من سائرِ اللغاتِ؛ حيثُ إنَّها شكَّلتْ جزءاً أساسياً من محصولِ العربِ الثقافيِّ والفكريِّ، فأسهم باحثون من كلا الشعبين في دراسة ظاهرة تأثير الأدب الفارسي في الأدب العربي ومداه، من الممكن الإشارة إلى كتاب «تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول» لمؤلِّفه عيسى العاكوب، ومقالة عنوانها «صورة الفرس في كتاب البخلاء للجاحظ» للدكتورة ماجدة حمود، ومقالة «الأثر الفارسي في شعر البحتري» للدكتور وحيد صبحي كباية.

ومن مثل هذه البحوث في إيران رسالة ماجستير عنوانها «صورة الفرس في ديوان أبي نواس» قامت بإعدادها مريم أكبري بجامعة أصفهان. إلا أنه تبين لنا بعد قراءات متناثرة في الأدب الأندلسي أنه لم يقتصر التأثير على مشرق العالم العربي وإنما وصل إلى أدياب المغرب العربي، وتسموا عبير التواصل مع الثقافة الفارسية، ومنهم الأديب الشهير ابن عبد ربّه. فقدّم في موسوعته الكبيرة كنزاً من الثقافة الفارسية إلى نشاد العلم والمعرفة ليهذبوا أذواقهم ويلوتوا أدبهم بلون فارسي رائع. وللأسف قد أهملت دراسة تأثير الأدب الفارسي في الأدب الأندلسي فلربما تعدّ هذه المقالة من المبادرات الأولى في مجال الدراسات المقارنة بين الأدبيين.

جدير بالذكر هنا أن معظم ما نقل في العقد من الأدب الفارسي يقع في نطاق سير الملوك الساسانيين وحكمهم ووصاياهم؛ لأنّ الفرس يهتمون بهم منذ قديم الزمان. وخير دليل على هذا «هو بقاء العقيدة الزرادشتية ومحافظة معتققيها على كيانهم ووجودهم - رغم ما حاق بهم من ضروب التنكيل والتشرد في كثير من الأوقات وهو يرجع فيما نعتقد إلى ما في هذه العقيدة من حكم ووصايا ونصائح منسوبة إلى الحكم الأزلي، انطوى عليها كتابهم المقدس (الأفستا) وما أضاف إليه الشراح والمفسرون من إضافات وشروح»^١

لذا فإن هذا البحث سيلقي الضوء على صورة الفرس في "العقد الفريد" ليظهر مدى تأثير أدب ابن عبد ربّه بالحضارة الفارسية رغم بُعد المسافة الجغرافية والتاريخية بين القطرين الفارسي والأندلسي العربي.

وقد نسقنا السطور الموثقة والأخبار المنقولة عن الفرس في "العقد" ووضعنا عناوين لهذه الأخبار منها الوصايا، السياسة والحكمة الملوكية، الأخلاق والسلوك، التوقيعات، والكتابة والبلاغة، لنكشف اللثام عن صورة الفرس وجوانب من المؤثرات الفارسية على الثقافة الأندلسية متجلية في ثقافة ابن عبد ربّه.

^١ - العاكوب، تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص ٥٥-٥٦.

وفي نهاية المطاف، أمل أن يكون البحث نافعاً لأبناء الفرس والعرب نظراً إلى تأثير الحكم في النفس الإنسانية عامةً والنفس الشرقية خاصةً، وأن يكون جسراً للمزيد من التلاقي للشعبين في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، والسياسية، والثقافية.

١- الامتزاج العربي - الفارسي

قبل أن نتحدث عن ملامح التجليات الفارسية في "العقد الفريد" نتيجة دمج الأمتين العربية والفارسية من قديم الزمان يجمل بنا أن نعرض صورة موجزة لتاريخ الصلات القائمة بينهما. وإنما نختار الإيجاز في هذا المقام، والقارئ يستطيع الرجوع إلى المصادر الخاصة التي تتعلق بالموضوع إذا أراد المزيد من الاطلاع. لسنا نبالغ إذا قلنا إن العلاقات بين العرب والفرس تعود إلى أبعد من التاريخ المدون، إذ نجد إشارات في «الشاهنامه»، الملحمة الكبرى للفردوسي الشاعر الشهير الإيراني، وهي أقرب إلى الأساطير منها إلى الواقع، والكلام عنها يبدو من نافلة القول.

أما من العصر الساساني (٤٧٢-٢٢٦م) - وهو آخر العصور الفارسية قبل الفتح الإسلامي - فبين أيدينا شواهد تاريخية علمية بها جعلنا نخلد إلى شيء من الاطمئنان فهي تذكر لنا أنه قد ازدادت العلاقات بينهما اتساعاً، ونرى جرجي زيدان يصرّح:

«وكان في مملكة فارس قبائل كثيرة من العرب، يقيمون على حدودها بين النهرين في العراق والجزيرة، وكانت لهم دولة عربية تحت رعايا الفرس، وهم المناذرة في الحيرة.»^١

^١ زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٤: ص ١٣٤.

ومن الطبيعي أنه كانت العلاقات بينهما ثنائية، فقد «كانوا (أي الفُرس) يستخدمون العرب في دواوينهم للكتابة أو الترجمة بينهم وبين مَنْ يفد على ملك الفُرس من عرب الحجاز أو اليمن أو نجد، وخصوصاً بعد أن دخلت اليمن في حوزتهم على عهد كسرى أنوشروان وأشهر كتاب العرب في دواوين الفُرس آل عدي بن زيد من المضرية»^١ والتلاقي بين الشعبين تجاوز حدود الأوساط السياسية إلى عامة الناس ونرى «كثيراً ما كان الفُرس يتعلّمون لغة العرب وينظمون الشعر العربي، حتى ملوكهم لم يكونوا يستكفون من ذلك»^٢.

كما تسرّبت العلاقات بينهما إلى العلاقات الدينية، والاعتقادية؛ ينقل لنا المسعودي في كتابه "مروج الذهب" أنه: «قد كانت أسلاف الفُرس تقصد البيت الحرام، وتطوف به تعظيماً له ولجدّها إبراهيم عليه السلام، وتمسكاً بهديه، وحفظاً لأنسابها»^٣.

وقد امتدّ تلاحق الشعبين في العصور التالية من الفتح الإسلامي إلى أن بلغ ذروته في دولة بني العباس وقد صرّح الجاحظ بقوله: «إن دولة بني العباس أعجمية خراسانية ودولة بني مروان عربية أعرابية»^٤.

١ - المصدر نفسه، ١٢٤.

٢ - المصدر نفسه، ١٣٤.

٣ - المسعودي، مروج الذهب، ص ٢٤٢.

٤ - الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٢٣٧.

والحقيقة التي لا يتطرق إليها شك هي أن مثل هذا النفوذ في هذا العصر لم يكن يحصل إلا تكريماً لنصيب الفرس الأوفر في إنجاح الثورة العباسية على الأمويين، فانعقدت صلات ضاربة الجذور بين العرب والفرس في المجالات المختلفة سياسياً، وثقافياً، واجتماعياً قلماً نرى مثلها بين شعبين آخرين، ومن المسلم به نتيجة لهذا الامتزاج المتعدد الجوانب أن يتأثر بعضهما ببعض تأثراً نادر النظير إذ نرى تجلياته في ما وصل إلينا من أدب العصر العباسي وعصوره التالية.

٢- إطلالة على عصر بني ساسان

قد وضع أردشير بن بابك سنة ٢٢٦ ميلادية حجر الأساس لدولة بني ساسان واختار عنوان "ملك الملوك" لنفسه بعد أن غلب على دويلات الطوائف. وهذه الدولة قد عاشت أربعة قرون ونيّف، وازدهرت في هذا العصر مناحي الحياة؛ الاقتصادية، الاجتماعية، والسياسية.

كانت الديانة الزرادشتية ديانة عامة الفرس في العصر الساساني إلى أن دخلت إيران الحظيرة الإسلامية بعد بزوغ فجر الإسلام المبين في الجزيرة العربية، وقد قوّض ملوك الأكاسرة أركان البدعتين المشهورتين المانوية والمزدكية احتفاءً بها.

لنقرأ ما جاء في كتاب كريستين سن هذا نصّه: «تكوّن النظام الساساني من أربع طبقات وهي: طبقة رجال الدين، وطبقة رجال الحرب، طبقة الكتّاب^١، وطبقة

^١ - هذه الطبقة لم تكن موجودة في الأنظمة السياسية السابقة للعصر الساساني، وقد أضافها

العامّة من الصنّاع والزّراع.^١ «إلا أن ما وصل إلينا من مسلّمات الحديث والشهادات التاريخية يدلّنا على مكانة أرباب القلم المنفردة بهم، ولنصنغ إلى قول الفلقشندي الذي يبيّن لنا الأمر إذ يقول: «كانت ملوك الفرس تقول: الكتاب نظام الأمور، وجمال الملّك، وبهاء السلطان، وخزّان أمواله، والأمناء على رعيته وبلادته، وهم أولى الناس بالحياء والكرامة وأحقّهم بمحبّة السلام»^٢.

وصفوة القول أن ملوك آل ساسان قد جعلوا الكتاب في مقام يُشار إليه بالبنان، وعاشوا عيشةً مفعمةً بالرغد والهناء في كنف الملوك الساسانيين وقد تهيّأ لهم ما احتاجوا إليه ليخلفوا قسطاً وافراً من كتابات رائعة أفادت الحضارة الفارسية والحضارة العربية الإسلامية بصفةٍ عامّةٍ في العصور التالية، وإن معظم التراث الفكري والأدبي الفارسي الذي تأثر به كبار الأدباء العرب يعود تاريخه إلى العصر الساساني، وهو مدوّن باللغة البهلوية الساسانية وقد تُرجمت مقتطفاتٌ منه إلى العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

٣- ابن عبد ربّه وعقده

أبو عمر أحمد بن عبد ربّه قد نشأ بقرطبة و«كان في نشأته فقيراً خاملاً، فطلب العلم على شيوخ عصره في جامع المدينة، ومن أهم شيوخه بقي بن مخلد، وابن وضّاح، والخشني»^٣. فتلقّى منهم اللغة، والأخبار، والسير وادّخرها في "العقد"

الأكاسرة إلى الطبقات الثلاث وهذا يدلنا على اهتمامهم البالغ بالكتابة وأصحابها.

^١ - كريستين سن، ايران در زمان ساسانيان، ص ١٥٠.

^٢ - الفلقشندي، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، ص ٤٤.

^٣ - عباس، احسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة القرطبة، ص ١٨٣.

وخلفها للأجيال التالية قاصداً لها العبرة الحسنة والتهديب الخُلقي، وما يلفت انتباه القراء هو أنّ القسم الأوفى والأوفر من الكتاب يتعلّق بالشرق حتى قال عنه صاحب بن عبّاد (ت ٣٨٥هـ) عندما شاهد هذا الكتاب، جملة المشهورة: «هذه بضاعتنا رُدّت إلينا، ظننتُ أن هذا الكتاب يشتمل على شيءٍ من أخبار بلادهم وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا ولا حاجة لنا فيه»^١.

أما طريقة ابن عبد ربّه في تأليف "العقد" فإنه قد حدّا حذو ابن قتيبة في عيون الأخبار وقد جمع مادة كتابه من مصادر مختلفة من دواوين الشعراء، ومؤلفات الكبار العرب، والكتب السماوية. واعتبره محققون كثيرون بمثابة موسوعة أدبية قد اجتمعت فيه أصناف العلوم والآداب في عصره. وقسم المؤلف كتابه إلى خمسة وعشرين قسماً سماها بأسماء الجواهر وجعل هذه الجواهر متناظرة كحبات العقد، و«العنوان **العقد الفريد**» تطوّر متأخراً زاد فيه كلمة "الفريد" أحد المطالعين أو الناشرين»^٢.

٤- التجليات الفارسية في "العقد الفريد"

أشرنا سابقاً أن للحضارة الفارسية تأثيرات ملفتة الانتباه في مختلف أجزاء **"العقد الفريد"** والتي قادنا إلى البحث عن مختلف جوانبها، فمن أبرز التجليات الفارسية في **"العقد"** يمكن الإشارة إلى ما يلي:

^١ - فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، ص ٢١٢.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٢١٢.

أ- الوصايا

إن الوصايا الحكمية كانت موضع اهتمام النفس الشرقية إذ احتلت حيزاً كبيراً من الأدبين الفارسي والعربي منذ أقدم الأزمنة، وهي تنطوي على ما يُخرجه أديبٌ حكيمٌ للناس من دروس وعظات قد حصل عليها الشخص الحكيم خلال حياته ليستفيدوا منها في خضم الحياة.

ودولة آل ساسان – كما أسلفنا الحديث عنها – أسست على يد ملوك من الحكماء، فخلّف كتاب البلاط قدراً هائلاً من وصايا توجّه بها ملك إلى ابنه أو إلى ملك أعقبه أو إلى الوزراء والأجيال اللاحقة.

وقد أتى ابن عبد ربّه بشذرات منها في أثره الخالد، منها وصايا أردشير بن بابك (٢٢٦-٢٣٩م) وهو كما أسلفنا القول عنه يرجع إليه فضل إقامة الصرح الساساني، وهو أعظم الملوك الساسانيين حكماً وسياسةً، وكان أبرز ملوك الفرس في الميل إلى العلم، وتشجيع الترجمة والتأليف. نتيجة لذلك فقد احتفى به الكتاب والمؤرخون احتفاءً منقطع النظير ويمكن القول إن أغلب ما نسب إلى أردشير من حكم ووصايا ونصائح في المصادر العربية له نصيب من الصحة والحقيقة من حيث انتسابه إليه. فالمعتقد أنه كان هناك أكثر من كتاب ساساني يتصل بشخصية أردشير وأعماله، وقد أتيح لأدباء العرب ومؤرخيهم أن يطلعوا عليه في العصر العباسي الأول. وأشهر هذه الكتب هو "كارنامك أردشير" الذي كُتب قريباً من سنة ٦٠٠ م؛ والذي يُعدّ بحق مصدراً لما في الشاهنامه والكتب العربية عن أردشير.^١

^١ _ العاكوب، تأثير الحكَم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص ٨٧ .

ومن وصاياها التي يمكن الإشارة إليها وصيته المفعمة بالحكمة إلى ابنه إذ يقول: « إن الملك والعدل أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر، فالملك أسُّ والعدل حارس. والبناء ما لم يكن له أسُّ فمهذوم، والملك ما لم يكن له حارس فضائع.

يا بني، اجعل حديثك مع أهل المراتب، وعطيتك لأهل الجهاد، وبشرك لأهل الدين، وسرك لمن عناه ما عناك من ذوي العقول»^١.

ولابن عبد ربّه موقف آخر من بيان حسن السياسة وإقامة العدل في المملكة مشيراً إلى أبرويز (٥٩٠-٦٢٨م). و أبرويز هذا هو كسرى الثاني حفيد كسرى أنوشروان، الذي تمّ احتفال تنويجه في " تيسفون " عاصمة " إيران شهر " وله مكانة منقطعة النظير في دولة آل ساسان، والواقع أن معظم الروايات المفصلة عن عظمة البلاد الساسانية والتي يذكرها القدماء من العرب والفرس تعني عصر كسرى الثاني.

«إنه لُقّب في عصره بـ "أبرويز" بمعنى الفاتح ولاشك أنه قد لُقّب به تمجيداً لانتصاراته الكبيرة في الحروب»^٢.

أبرويز الحكيم يوصي ابنه شيرويه قائلاً:

^١ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج ١: ص ٢٦.

^٢ - داهيم، خسرو پرويز در جنگهای بیست و هفت ساله ایران و روم، ص ١٠ .

« لا توسعنَّ على جندك سعةً يستغنون بها عنك، ولا تضيقنَّ عليهم ضيقاً يضحون به منه، ولكن أعطهم عطاءً قصداً، وامنهم منعاً جميلاً، وابطس فأكثر التعجب»^١. كما أنه يوصيه بأن يتخذ العدل والنصفة نهجاً له قائلاً:

« اعلم أن كلمةً منك تسفك دماءً، وأخرى منك تحقن دماءً، وأن سخطك سيفٌ مسلولٌ على من سخطتَ عليه، وإن رضاك بركةٌ مستفيضةٌ على من رضيت عنه، وأن نفاذ أمرك مع ظهور كلامك. فاحترس في غضبك من قولك أن يخطئ، ومن لونك أن يتغير، ومن جسديك أن يخف؛ فإن الملوك تعاقب حذراً وتعفو حلمًا. واعلم أنك تجل من الغضب، وأن ملكك يصغر عن رضاك، فقدر لسخطك من العقاب، كما تقدر لرضاك من الثواب»^٢.

كما يبدو من كلامه أنه يوصي ابنه بما يجدر بالملوك أن يتزَيَّنوا به في أعمالهم السياسية ويؤكد خاصةً على العدالة والقصد في كل الأحوال.

ومن الوصايا الساسانية قول كسرى أنوشروان إلى مرابذة خراسان حيث يقول: «عليكم بأهل السخاء والشجاعة، فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى»^٣.

وكسرى (٥٣١ - ٥٧٩م) هذا وهو المعروف في التاريخ بلقب أنوشروان^١ يعتبر احتواءه على عرش إيران مبدأً وافتتاحاً لأزهى عصر من عصور الدولة الساسانية.^٢

^١ - المصدر نفسه، ج ١: ٢٨.

^٢ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

^٣ - المصدر نفسه.

إن هذه أقوال وحكم كثيرة تتصل بحياته وسياسته وعدله وقد تصوّره لنا الروايات الشرقية مثلاً للحاكم العدل، فالكتاب العرب والفرس يروون لنا حكايات كثيرة في وصف جهده ومحاولته لصيانة العدالة والمساواة.^٣

كما يحدثنا عنه الثعالبي في قوله: « إنه لم يكن في الأكاسرة بعد أردشير الذي له فضيلة سبق أعدل من أنوشروان فلذلك ضرب المثل به في العدل من بينهم. وهو الذي وُلد النبي (ص) في زمانه لتسع سنين خلت من ملكه، وافتخر عليه الصلاة والسلام بذلك وقال: ولدتُ في زمن الملك العادل»^٤.

وصفوة القول إنه علم من أعلام الحكمة في الأدبين الفارسي والعربي.

ومن الطبيعي أن يكون ثمة وزراء من أهل العلم والأدب إلى جانب الملوك الساسانيين يؤزرونهم في تدبير المملكة وسيادتها؛ فمن أكثرهم شهرةً في الكتب التاريخية الحكيم الكبير بزرجمهر الذي احتلَّ مكانة الصدارة في حكم الحكماء الفرس ربما يعادل مكانة لقمان الحكيم لدى أبناء العرب.

«إن بزرجمهر^٥ هذا كان وزيراً لكسرى أنوشروان وهو الذي قتله وذلك أن بزرجمهر ترك المجوسية ورجع إلى دين عيسى بن مريم ودان به فقتله كسرى

^١ - أنوشروان: الروح الخالدة.

^٢ - كريستين سن، إيرانيان در زمان ساسانيان، ص ٤٨٤.

^٣ - المصدر نفسه، ٤٩٦.

^٤ - الثعالبي، ثمار القيوب في المضاف والمنسوب، ص ١٦٥.

^٥ - « نسبت إلى بزرجمهر أساطير كثيرة وربما هي كتبت محاكاةً عن أساطير أحيقر (Ahigar) فاسترعى انتباه المسلمين في القرون الإسلامية الوسطى، نظن ظناً قوياً أن تكون هذه

لذلك.»^١ وله قضايا وحكم ومواعظ بين أيدي الناس و«يعتبر **بندينامغ بزركمهر** (نصائح بزركمهر) أشهر مثال لأدب النصح لوناً من الانتاج تميزت به العبقرية الإيرانية وكان له أكبر الأثر على آداب الإسلام التي ظهرت من بعده.»^٢

ومن الطبيعي ألا يهمل ابن عبد ربّه وصايا بزركمهر إلى الناس، فيذكر منها قوله: « ما ورث الآباء الابناء شيئاً خيراً من الأدب، لأنّ بالأدب يكسبون المال، وبالجهل يُتلفونه.»^٣.

وهذه الوصية المنقولة عن الحكيم الكبير بزركمهر تكفيها في اعتباره من أعلام الحكمة.

ومن وصاياها التي عثر عليها في آثاره بعد مقتله هي العبارة التالية: « إذا كان الغدر في الناس طبعاً فالثقة بالناس عجز، وإذا كان القدر حقاً فالحرص باطل، وإذا كان الموت راصداً فالطمأنينة حُمق.»^٤

ويروى عنه في مدح الكرم وذم البخل: « إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفي، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى.»^٥.

الشخصية الشهيرة التي لحق اسمه بقصة وضع النرد في إيران نفس برزوية الطبيب». كريستين سن، إيرانيان در زمان ساسانيان، ص ٩٦

^١ _ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ص ٣٢٨

^٢ _ العاكوب، تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص ٥٨

^٣ _ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج ٢: ١٠٩

^٤ _ المصدر نفسه، ١٠٩

^٥ _ المصدر نفسه، ٢٨.

في صدد فضل الصداقة على القرابة يروى عنه: «قيل لـ بزرجمهر من أحبُّ إليك، أخوك أو صديقك؟ فقال: ما أحبُّ أخي إلا إذا كان صديقاً»^١.

وقد اقتبس ابن عبد ربّه ما حكى عن الحكماء، مثل سلمان الفارسي الصحابي الكبير. «سلمان أبو عبدالله الفارسي الرامهرمزي الأصبهاني^٢ سابق الفرس إلى الإسلام، وصحب النبي (ص) وخدمه»^٣.

وهو من قال النبي فيه يوم الأحزاب: «سلمان منا أهل البيت»^٤. وذاع صيته في الحكمة وسداد الرأي وعمق التفكير، وقيل إنه هو الذي أشار بحفر الخندق وكان له فيه فضل عمل.

ويدلنا على حكمته الغزيرة قوله الموجز في الاقتصاد في الأمور العامة فإنها داعية للدوام والاستمرار، والمقصد له فضل السبق في ذلك، عندما يقول: «القصد والدوام فأنت الجواد السابق»^٥.

ولا يخفى على أحد أن القصد والدوام يُطلق عليه حديثاً مصطلح «التكامل والتدرّج» وهو أساس لكثير من نظريات علم الاجتماع ومستجداته الحديثة؛ إذ يعتقد علماء الاجتماع أنه لا ينال المجتمع ما يتوخّى من الرقي والازدهار إلا عندما يسير مختلف أنظمتها وأجزاءه تجاه التكامل تدريجياً وخطوةً خطوةً.

^١ _ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج ٢، ص ٥٠.

^٢ _ يقال إنه من منطقة "جي" بأصبهان، ويقال من رامهرمز.

^٣ _ الصفدي، الوافي بالوفيات، ص ٣٠٩.

^٤ _ الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ٥٩٨.

^٥ _ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج ٢، ص ٨٠.

ب- السياسة والحكمة الملوكية

لاشك بأن بلاد فارس قد اتسمت من العصور الغابرة بسمّة التنظيمات السياسية، والاجتماعية، والعسكرية، قلما نجد مثلها في البلدان الأخرى، وقد وصلت ذروتها في دولة آل ساسان، إلى أن اشتهر ساستها بسداد الرأي وحسن السياسة في القضايا الدائرة في فلك رعاياهم ومملكتهم وكانوا من أعلام الحكماء والمهتمين بالحكم ليعملوا بمقتضاها، ويؤكد على هذا الادّعاء ما نقل عن أنوشروان إذ يقول: «القلوب تحتاج إلى أقواتها من الحكمة كاحتياج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء»^١.

أما بالنسبة إلى العرب الذين كانوا يعيشون _ قبل اعتناقها الإسلام المبين _ في القفار والفيافي دون أن يسودهم نظام سياسي بمعناه المعروف في علم السياسة، فقد كانت تعوزهم تجارب الفرس وخبراتهم السياسية والاجتماعية في العصر العباسي.

لذا نرى بعد الفتح الإسلامي لفارس والنفوذ الفارسي في البلاط العربي، وذلك بأن يقوم العرب بأخذ ما كان عند الفرس من تجارب لتغطّي فجوتها في سياسة العباد وعمارة الرقعة الإسلامية المترامية الأطراف؛ لذا نجد ترجمة «سيرة سابور بن أردشير المعروف بسابور الجنود، وقصته مع ملك الحضرة وابنته النضيرة وسيرة سابور ذي الأكتاف وبهرام كور ربيب المناذرة، وكسرى أنوشروان

^١ - المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، ٤٥٧ وربما تأثر الإمام علي (ع) بحكمته إذ يقول: «إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة.» (الإمام علي، نهج البلاغة، الحكمة

وزيره بزرجمهر القصص البهلوية، وسير الملوك بصفة عامة، قد أضافت إلى قصص العرب ثروة كبيرة زادت الأدب العربي غنى واتساعاً^١.

وصفوة القول أن العرب قد وجدت ضالتها المنشودة في السياسة الملوكية عند الفرس إذ بادرت إلى ترجمة الحكم الملوكية إلى العربية واقتباسها في أعمالها الأدبية.

أما بالنسبة إلى "العقد الفريد" فيجد الباحث قسماً مما نقل فيه من الأدب الفارسي الساساني، يقع في نطاق الحكم ذات الصلة بالسياسة الملوكية إلا أنه أحياناً لا يشير إلى الملك الحكيم الذي رويت عنه الحكمة كما لا يشير إلى مصدر الرواية الفارسي، كما نلاحظ في الرواية التالية:

« وذكروا أن ملكاً من ملوك العجم كان معروفاً ببعده الغور ويقظة الفطنة وحسن السياسة، وكان إذا أراد محاربة ملك من الملوك وجه إليه من يبحث عن أخباره وأخبار رعيته قبل أن يظهر إلى محاربتة، فيكشف عن ثلاث خصال من حاله، فكان يقول لعيونه^٢: انظروا هل ترد على الملك أخبار رعيته على حقائقها أم يخدعه عنها المهدي ذلك إليه؟ وانظروا إلى الغني في أي صنف هو من رعيته، أفيمن اشتد أنفه وقل شرهه أم فيمن قل أنفه واشتد شرهه؟ وانظروا في أي صنف رعيته القوام بأمره؟ أفيمن نظر ليومه وغده أم من شغله يومه عن غده؟ فإن قيل له لا يخدع عن أخبار رعيته، والغني فيمن قل شرهه واشتد أنفه، والقوام بأمره من نظر ليومه وغده؛ قال: اشتغلوا عنه بغيره. وإن قيل له ضد ذلك؛ قال: نار كامنة

^١ - بدوي، صلات بين أدبي الفرس والعرب، ص ٨٦ .

^٢ - جواسيسه.

تنتظر موقداً، وأضغان مزملة تنتظر مخرجاً، اقصداً له فلا حين أحيان من سلامة مع تضييع، ولا عدو أعدى من أمن أدى إلى اغترار»^١.

كما نستنتج من كلامه أنه كان ملكاً ذا حزمٍ وصلابةٍ وآراء صائبة لا يقوم بالحرب دون تدبيرٍ كي يحصل على نجاح أكثر. إنه ملك يعرف القطاعات المختلفة للمجتمع الإنساني وأحوالهم المتباينة، وهو كطبيب يقوم ببياثولوجيا أجساد المجتمعات فبإمكانه أن يدرك جيداً أي مجتمع قد أُصيب بالضعف والانهيار، ولا يستطيع الصمود أمام شنّ أعدائه.

وأحياناً يذكر اسم الملك الفارسي، على سبيل المثال في صدد ما يصحب به السلطان يقول: « وقال أبرويز لصاحب بيت المال: إني لا أعزرك في خيانة درهم عليّ وأن لا أحمذك على صيانة ألف ألف: لأنك إنما تحقن بذلك دمك وتقيم أمانتك، فإن خنت قليلاً خنت كثيراً. واحترس من خصلتين: النقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطى. واعلم أنني لم أجعلك على ذخائر الملك وعماد المملكة والقوة على العدو، إلا وأنت عندي آمن من موضعه الذي هو فيه، وخواتمه التي هي عليه، فحقق ظني باختيارى إياك أحقق ظنك في رجائك إياي. ولا تتعوض بخير شراً، ولا برفعة ضعة، ولا بسلامة ندامة، ولا بأمانة خيانة»^٢.

يكفينا قوله هذا في اعتباره ملكاً حكيماً لا يبخل على بطانته بإرشاداته القيمة والبناءة في القيام بوظائفهم الحكومية بدقة وأمانة.

^١ _ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج ١، ص ٧٨.

^٢ _ المصدر نفسه، ٢٢.

كما يوصي ابنه شيرويه في اختيار بطانته إذ يقول:

«وليكن من تختاره لولايتك امرءً كان في ضعة فرفعته، أو ذا شرف كان مهملاً فاصطنعته. ولا تجعله امرءً أصبته بعقوبة فاتضع لها، ولا امرءً أطاعك بعد ما أذلته، ولا أحداً ممن يقع في قلبك أن إزالة سلطانك أحب إليه من ثبوته. وإياك أن تستعمله ضرعاً غمراً كثيراً إعجابه بنفسه، قليلاً تجربته في غيره؛ ولا كبيراً مدبراً قد أخذ الدهر من عقله، كما أخذت السن من جسمه.^١»

وحول ما كان عليه أردشير، مؤسس دولة الأكاسرة، من حكمة وتدبر يذكر لنا ابن عبد ربّه الرواية التالية:

«قيل لأردشير: الأدب أغلب أم الطبيعة؟ فقال: الأدب زيادة في العقل ومنبهة للرأي، ومكسبة للصواب، والطبيعة أملك لأن بها الاعتقاد وبها الفراسة وتمام الغذاء.^٢»

وأما الموبدان - وهو العالم ورجل الدين بالفارسية - فله شأن رفيع عند الأكاسرة حيث هو حكيم يحاول الملك أن يستفيد من بحر حكمته مهما سنحت فرصة. والرواية التالية ترشدنا إلى ما قلنا:

«قال أنوشروان للموبدان: ما كان أفضل الأشياء؟ قال: الطبيعة النقية تكتفي من الأدب بالرائحة ومن العلم بالإشارة وكما يموت البذر في السباخ^١ كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة. قال له: صدقت ونحن لهذا قلّدناك ما قلّدناك.^٢»

^١ - المصدر نفسه، ٢٨ .

^٢ - المصدر نفسه، ج ٢: ١٠٩ .

مما نقله ابن عبد ربّه عن الحكيم الملوكية والسياسة عند الأكاسرة يتضح أن ملوك الفرس، لدى الأندلسيين، يتسمون بالحكمة والعدالة وبعُد الغور. ومن جانب آخر لا يخفى على أحد أن هذه الصفات في الملوك تُسعد الرعية وتبعث فيها إشراقه الأمل والحيوية.

ج - حسن المعاشرة والسلوك

ومما ورد ذكره في "العقد الفريد" عن مميزات الشعب الفارسي بصفة عامة وملوكهم خاصة الطقوس الشائعة آنذاك مشيراً إلى وحدة الصف والابتعاد عن التفرقة والتشتت نقلاً عن حبيب الطائي:

«وقد كان المحلق بن حنتم بن شداد خاملاً لا يذكر، حتى طرّقه الأعشى في فتية وليس عنده إلا ناقة. فأتى أمّه، فقال: إن فتية طرّقونا الليلة، فإن رأيت أن تأذني في نحر الناقة؟ قالت: نعم يا بُني. فنحرها واشترى لهم ببعض لحمها شراباً وشوى لهم بعض لحمها. فأصبح الأعشى ومن معه غادين. فلم يشعر المحلق حتى أتته القصيدة التي أولها:

أرقتُ وما هذا السُّهاد المورقُ وما بي من سقمٍ وما بي معشوقُ

وفيهما يقول:

^١ - أرض مالحة التربة.

^٢ - المصدر نفسه، ص ١٠٩.

لَعْمَرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيُونُ كَثِيرَةٍ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحَرَّقُ
تُشَبُّ لِمَقْرورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمَحَلَّقُ^١
رَضِيعِي لَبَانَ تَدْيٍ أَمْ تَقَاسِمَا بِأَسْحَمِ دَاجٍ عَوْضٌ لَا نَنْفَرَقُ^٢
تَرَى الْجُودَ يَسْرِي سَائِلًا فَوْقَ وَجْهِهِ كَمَا زَانَ مَتْنُ الْهُندَوَانِيِّ رَوْنَقُ
فلما أتته القصيدة جعلت الأشراف تخطب إليه، ويقول القائل: وبات على النار
الندى والمحلق وقوله تقاسما بأسحم داج. يقول: تحالقا على الرماد، وهذا شيء تفعله
الفرس لئلا يفترقوا أبدا»^٣.

لأبيات الأعشى قصة ومغزى، فالقصة ذكرها كل من تناول هذه الأبيات.

أما المغزى فيتعلق بطقوس الأمم أثناء تحالفهم وتعاهدهم؛ فالعرب كانت تتعاهد
في جاهليتها على النار وبغمس الأيدي في الدماء، وأضاف صاحب الخزانة إلى أن
العرب كانت تتعاهد على التراب نقلاً عن ابن السيد البطليوسي^٤.

وقد زاد صاحب **العقد الفريد** فقال بأن الفرس كانت تتحالف على الرماد، وهو
ما لم أجد له دليلاً لدى غيره.

ومن السنن التي كانت شائعة بين الفرس آنذاك يشير ابن عبد ربّه إلى تقبيل يد
الملوك كما كان يفعله العرب وكيف يميّط المؤلف اللثام عن نياتهم المختلفة وراء
فعلهم المشترك هذا بقوله؛

^١ - المقرور: الذي يرتجف من البرد. اصطلي: تدفأ.

^٢ - أسحم: شديد السواد. عوض: (بينى على الكسر، والفتح، والضم) الدهر.

^٣ - المصدر نفسه، ج ٥: ٢٠٥-٢٠٦.

^٤ - البغدادي، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية، ج ٣، ص ٢١٢.

«دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقَبَّل يده؛ فقال: أف له، إن العرب ما قَبَّلَت الأيدي إلا هلوَعاً، ولا فعلته العجم إلا خضوعاً»^١.

وذكر ابن عبد ربّه ما كان رائجاً بين الفُرس في تقسيمها دهرها كله إلى أربعة أيام مشيراً إلى طبائع الإنسان؛ «ونحن قائلون بعون الله وتوفيه في طبائع الإنسان وسائر الحيوان، وتفاضل البلدان، والنعمة والسرور، إذ لم يكن مدار الدنيا إلا عليها، ولا قوام الأبدان إلا بها، وإذ هي ثمرة الفراسة، وتركيب الغريزة، واختلاف الهمم، وطيب الشيم، وتفاضل الطعوم. وقد تكلمَّ الناس في النعمة والسرور على تباين أحوالهم، واختلاف هممهم، وتفاوت عقولهم، وما يجانس كل رجل منهم في طبعه، ويؤالفه في نفسه، ويميل إليه في وهمه. وإنما اختلف الناس في هذا المذهب لاختلاف أنفسهم، فمنهم من نفسه غضبية، فإنما همُّه منافسة الأكفاء، ومغالبة الأقران، ومكاثرة العشيرة. ومنهم من نفسه ملكية فإنما همُّه التفنن في العلوم، وإدراك الحقائق، والنظر في العواقب. ومنهم من نفسه بهيمية، فإنما همُّه طلب الراحة، وإهمال النفس على الشهوة من الطعام والشراب والنكاح، وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسّمت الفُرس دهرها كله، فقالوا: يوم المطر للشرب، ويوم الريح للنوم، ويوم الدجن للصيد، ويوم الصحو للجلوس. وهي أغلب الطبائع على الإنسان، لأخذها بمجامع هواه، وإيثار الراحة، وقلة العمل»^٢.

^١ _ المصدر نفسه، ج ٢: ١٣٢.

^٢ _ المصدر نفسه، ج ٦: ١٧١.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفرس من قديم الزمان ميّالون إلى الإفراط في الشراب، حتى وصفهم بعض المستشرقين، منهم هرودوت بالإمعان في ذلك والغلوّ فيه.^١

وما يؤيدّ هذا الرأي قول حمزة الإصفهاني حيث يقول: «إن بهرام جور أمر الناس أن يعملوا من كل يوم نصفه ثم يستريحوا ويتوافروا ١٠ على الأكل والشراب واللهو، وأن يشربوا على سماع الغناء فعزّ المغنون.»^٢

وأما رياضة الصيد فكانت عند الفرس من الهوايات المحبّبة التي كانت تحظى باهتمام عظيم، و«كان لهم شأن في تربية الجوارح وتضريتها وإتقان فنون الصيد ويحكون أن أول من صاد بالبازي كان ملكاً فارسياً»^٣.

وعن أخلاق وسير العجم وملوكهم يُلفت ابن عبد ربّه انتباه القارئ في "العقد" إلى فن الخطابة السائر في العصر الساساني، ويرسم ملامحه من خلال الرواية التالية عن أردشير بن يزديجرد إذ يقول: «في سير العجم أن أردشير بن يزديجرد لما استوثق له أمره، جمع الناس، فخطبهم خطبةً حضّم فيها على الألفة والطاعة، وحذّهم المعصية ومفارقة الجماعة، وصنف لهم الناس أربعة أصناف، فخرّوا له سجداً. وتكلّم متكلّمهم، فقال: لا زلت أيها الملك محبواً من الله بعز النصر، ودرك الأمل، ودوام العافية، وتمام النعمة، وحسن المزيد؛ ولا زلت تتابع لديك المكرمات، وتشفع إليك الذمامات حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها، ولا تتقطع زهرتها، في

^١ هرودوت، تاريخ هرودوت، ص ١٠٥.

^٢ الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء، ص ٤٣.

^٣ خسروي، شعر شكار در ادب عربي با نگاهي به شعر نخجيرگاني فارسي، ص ٩ و ٢٠.

دار القرار التي أعدها الله لنظرائك من أهل الزلفى عنده، والحظوة لديه؛ ولا زال
مُلكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر، زائدين زيادة البحور والأنهار، حتى
تستوي أقطار الأرض كلها في علوك عليها، ونفاذ أمرك فيها»^١.

وبعد أن ينتهي من الدعاء له يصف العدالة الإجتماعية حينئذٍ وكيف أنها
انتشرت بواسطة هذا الملك إذ يقول: «فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا
عموم ضياء الصبح، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم،
فأصبحت قد جمع الله بك الأيادي بعد افتراقها، وألف بين القلوب بعد تباغضها،
وأذهب عنا الإحن والحسائف بعد توقد نيرانها، بفضلك الذي لا يدرك بوصف، ولا
يُحدُّ بنعت. فقال أردشير: طوبى للممدوح مستحقاً؛ وللداعي إذا كان للإجابة أهلاً»^٢.

الملفت للنظر في الرواية السابقة هو أن الملك الحكيم أردشير بن يزجرد كان
يحث الناس على أن يشددوا أواصر المودة والمحبة بينهم وبيتعدوا عن التفرقة
والتشنت، إذ أن التفرقة تسوق الشعب إلى الانهيار والهلاك، والألفة بينهم لانتحاق
إلا بخضوعهم أمام أوامر ملك يتصف بالحكمة وسداد الرأي.

د- التوقيعات

إن نظام التوقيع نظام فارسي قد أخذته العرب من الفرس في العصر العباسي
الأول ويوضح ابن قتيبة ماهيته حيث يقول: «كان أنوشروان إذا ولى رجلاً أمر
الكااتب أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوقع فيه بخطه»^٣.

^١ _ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ٢٣٢.

^٢ _ المصدر نفسه، ص ٢٣٢.

^٣ _ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ٨.

والدافع إلى هذا الأمر كان « أن رعايا الدولة في الولايات والأمصار إذ تعرّضوا للمظالم فلم يكن بُدّ لهم إلا أن يلجأوا إلى مرجع أعلى في الدولة من خليفة أو أمير أو وزير. وقد جرت العادة في العصر الساساني أن تكتب تفاصيل الشكوى في ورقة تسمى أحياناً رُقعة تشبيهاً برُقعة الثوب من حيث صغر حجمها. والرئيس كان يكتب تحت قصة الشاكي رأيه بأوجز لفظ وأقصر تعبير وتسمى كتابته تلك توقيعاً.»^١

ولهذه التوقيعات أهمية بالغة في الأدب، إذ إنه كان يكتبها كبار الكتاب الساسانيين وهم محاولون في اختيار أجمل الألفاظ و أفضل الأساليب.

ومن توقيعات عهد الأكاسرة نقل منها ابن عبد ربّه ما يلي:

«وقع أردشير في أزمة عمّت المملكة: من العدل أن لا يفرح الملك ورعيّته محزونون. ثم أمر ففرّق في الكور جميع ما في بيوت الأموال»^٢.

كما نعلم أن أردشير اشتهر في التاريخ بالملك العادل الساساني، فتوقيعه هذا يُثبت ما ادّعاه المؤرخون، إذ إن من مظاهر العدالة هو أن لا ينسى الحاكم رعيّته حينما تعمّم أزمة أو بلاء.

وما رواه ابن عبد ربّه عن كسرى بن قباد (كسرى أنوشروان) وهو أنه «رَفَع رجل إلى كسرى بن قباد رُقعة يُخبره فيها أنّ جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم وخبّثت ضمائرهم، منهم فلان وفلان. فوَقَّع في أسفل كتابه: إنما أملك ظاهر

^١ _ العاكوب، تأثير الحكَم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص ٢٥٦ و ٢٥٧.

^٢ _ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٥٨.

الأجسام لا النيات، وأحكم بالعدل لا بالهوى، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر»^١.

فإن التوقيع هذا خير دليل على عدالة الملك وانصافه، إذ ليست من العدالة أن يحكم الحاكم على نوايا الأشخاص وما يكتُمون في ضمائرهم.

وأنوشروان العادل وقد سبق الحديث عنه قد وُقِعَ إلى صاحب خراجه:

«ما استُغزِر الخراج بمثل العدل، ولا استُتزر بمثل الجور. ووقَّع في قصة رجل تظلم منه: لا ينبغي للملك الظلم، ومن عنده يُلتَمَس العدل، ولا البخل، ومن عنده يُتوقَّع الجود؛ ثم أمر بإحضار الرجل وقعد منه بين يدي المؤبذ^٢. ووقَّع في قصة محبوس: من ركب ما نهي عنه حيل بينه وبين ما يشتهي. ورفَّع إليه بعض خدمه رقعة يُخبره فيها بكثرة عياله، وسوء حاله، فعرف كذبه، فوقَّع: إن الله خفف ظهرك فتقلته، وأحسن إليك فكفرتة، فنتب إلى الله يتب عليك. ووقَّع في قصة رجل سعى إليه بباطل: باللسان احفظ رأسك. ووقَّع في قصة رجل ذكر أن بعض قرابة الملك ظلمه وأخذ ماله: لا تصلح العامة إلا ببعض الحيف على الخاصة، فإن كنت صادقاً أبحتك جميع ما يملكه. فلم يتظلم بعدها أحد من قرابته»^٣.

يظهر مما سبق أن الملوك الأكاسرة كانوا يقصدون بتوقيعاتهم إزالة الظلم من المجتمع، حيث تسود فيه الحكمة والعدالة، وعيش المجتمع في محبة ووداد.

^١ _ المصدر نفسه، ص ٥٨.

^٢ _ فقيه الفرس.

^٣ _ المصدر نفسه، ص ٥٨.

هـ-البلاغة وكتابة الرسائل

قد خَلَفَ الملوك الساسانيون جملةً من النصائح الموجهة إلى كتابهم ليتمكنوا من أمر البلاغة في الكتابة، ومن هذا القبيل ما ذكره ابن عبد ربّه عن أبرويز حيث يقول لكاّته:

« اعلم أنّ دعائم المقالات أربع، إن التمس لها خامسة لم تُوجد، فإن نقص منها واحدٌ لم تتمّ، وهي سُؤالك الشيء، وأمرك بالشيء، وإخبارك عن الشيء، وسؤالك عن الشيء. فإذا طلبت فأسجح، وإذا سألت فأوضح، وإذا أمرت فأحكم، وإذا أخبرت فحقّق. وأجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول. يريد الكلام الذي تقلّ حروفه، وتكثر معانيه»^١.

وثمة إichاءات من هذه الحكم في نصائح الأدباء العرب إلى رواد المعرفة والثقافة تشير إلى المكانة السامقة للحكم الفارسية في نفوسهم واهتمامهم بها وشعور الكاتب بالغرور لاطلاعه على منهج الحكم الفارسية. وقد ذكر ابن عبد ربّه في هذا الموضوع ما روي عن إبراهيم بن المدبر حيث استبانته أحدهم أسباب البلاغة واستكشفه غوامض أدوات الكتابة وجاء في وصية له قوله:

« فإن كان لا بدّ لك من طلب أدوات الكتابة فتصّفح من رسائل المتقدّمين ما يُعتمد عليه، ومن رسائل المتأخّرين ما يُرجع إليه، ومن نواذر الكلام ما تستعين به، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتّسع به منطقتك، ويطولُ به قلمك، وانظر في كتب المقامات والخطب، ومجاوبة العرب، ومعاني العجم، وحُدود

^١ _ المصدر نفسه، ج ٢: ٣٠

المنطق، وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ووقائعهم ومكايدهم في حروبهم»^١.

نستنتج من هذه الحكم الفارسية أن الأندلسيين كانوا يعتبرون الحكم الفارسية وسيلة مؤثرة لتثقيف المتأدبين. وهذا يدل على المكانة المرموقة التي احتلها الأدب الفارسي في نفوسهم.

الخاتمة

تبين لنا من خلال هذا العرض الموجز أن ابن عبد ربّه ألف موسوعة ضخمة جمع فيها مختلف الحضارات، ولم يغفل عن الحضارة الفارسية الباهرة رغم بُعد المسافة الجغرافية والتاريخية بين البلاد الفارسي والأندلسي. وتجسدت لنا صورة الفرس في مرآيا "العقد الفريد" لمؤلفه الأديب الشهير الأندلسي ابن عبد ربّه، وأنه كيف يعرف الشعب الفارسي، وخاصة ملوكهم بأنهم من أصحاب الحكمة وعمق التفكير في مجالات الحياة السياسية والاجتماعية المختلفة.

كما تبين لنا أنه قدّم صورة للحضارة الفارسية العريقة بعيدة عن العنصرية أو التعصب كاشفاً عن نضجهم العقلي وسداد رأيهم.

صوّر لنا ابن عبد ربّه البيئة الساسانية بأنها بيئة تهتمّ بالجهود العقلية وتوليد المعاني الحكيمة وتتسمّ صورته المقدّمة بالموضوعية، ومن المسلمّ أنه ليس من المبرّر أن ندّعي أن الدولة الساسانية – شأن أي دولة أخرى – كانت بعيدة كل البعد عن المساوى الاجتماعية والسياسية، إلا أن ابن عبد ربّه – وهو أديب ملتزم

^١ _ المصدر نفسه، ج ٤: ١٨.

بالأخلاق الإسلامية الجميلة – يلزم نفسه بالابتعاد عن تشويه وجوه الآخرين خاصة الشعوب الأخرى، فأخذ منهم صفاتهم الكريمة ونقلها إلى الأجيال التالية لئلا يؤدي إلى سوء تفاهم بين الأمم والثقافات لاسيما المسلمين بكل قومياتهم.

قائمة المصادر والمراجع

أ: المصادر العربية

- ١- ابن عبد ربّه الأندلسي، شهاب الدين أحمد. **العقد الفريد**. تقديم: أستاذ خليل شرف الدين. منشورات: دار ومكتبة الهلال. ١٩٨٦م.
- ٢- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم. **عيون الأخبار**. دار الكتب: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. ١٩٦٤م.
- ٣- الأصفهاني حمزة بن الحسن. **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة. ٨٩٣-٩٧٠م.
- ٤- اكبري، مريم. **صورة الفرس في ديوان أبي نواس**. رسالة ماجستير. جامعة أصفهان. ١٣٨٧ش.
- ٥- بدوي، أمين عبد الحميد. **صلات بين أدبي الفرس والعرب**. مجلة الدراسات الأدبية. السنة الرابعة. العدد الأول. بيروت: الجامعة اللبنانية. ١٩٦٢م.
- ٦- البغدادي، عبدالقادر بن عمر. **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية**. دون مكان الطبع. د.ت.
- ٧- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل. **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**. تحقيق: الدكتور قصي الحسين. بيروت: دار ومكتبة الهلال. ٢٠٠٣م.
- ٨- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب. **البيان والتبيين**. قدم لها وبوبها وشرحها: علي أبو ملحم. بيروت: دار ومكتبة الهلال. ١٩٩٢م.

- ٩-الحاكم النيسابوري، الحافظ أبو عبد الله. *المستدرک علی الصحیحین*. بيروت: دار المعرفة. د.ت.
- ١٠-حمود، ماجدة. *صورة الفرس في كتاب البخلاء للجاحظ*. مجلة الموقف الأدبي. العدد ٣٥٤.. اتحاد الكتاب العرب بدمشق. ٢٠٠٦م. الموقع:
<http://www.awn-dam.org/mokifadabr/354/kokf003.htm>
- ١١-زيدان، جرجي. *تاريخ التمدن الإسلامي*. بدون مكان للنشر. ١٩١٤م.
- ١٢-صبيحي كُتّابة، وحيد. *الأثر الفارسي في شعر البحري*. أبحاث ندوة العلاقات الأدبية واللغوية العربية - الإيرانية. اتحاد الكتاب العرب. ١٩٩٩م.
- ١٣-صفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك. *الوافي بالوفيات*. الطبعة الثانية. بيروت: دار صادر. ١٩٩١م.
- ١٤-العاكوب، عيسى. *تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول*. دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر. ١٩٨٩م.
- ١٥-عباس، إحسان. *تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة*. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الثقافة. ١٩٧٣م.
- ١٦-فروخ، عمر. *تاريخ الأدب العربي*. بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٦٩م.
- ١٧-القلقشندي، أبو العباس أحمد. *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*. القاهرة: المطبعة الأميرية. ١٩١٣م.
- ١٨-المبرد، أبو العباس. *الكامل في اللغة والأدب*. تحقيق: جمعة الحسن. بيروت: دار المعرفة. ٢٠٠٤م.
- ١٩-المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار المعرفة. ١٩٦٤م.
- ٢٠-النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. *نهاية الأرب في فنون الأدب*. السفر الخامس عشر. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية. ١٩٤٩م.

ب: المصادر الفارسية:

- ۱- خسروي، زهرا. شعر شکار در ادب عربي با نگاهي به شعر نخجيرگاني فارسي. تهران: انتشارات امير كبير. ۱۳۸۳ش.
- ۲- داهيم، ابراهيم. خسرو پرويز در جنگهاي بيست و هفت ساله ايران و روم. چاپ سوم. انتشارات گلريز. ۱۳۷۶ش.
- ۳- کريستين سن، آرتور. ايران در زمان ساسانيان. ترجمه: رشيد ياسمي. تهران: دنياي کتاب. ۱۳۷۲ش.
- ۴- علي بن ابي طالب. نهج البلاغة. ترجمه: علامه محمد تقی جعفری. تهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامي. ۱۳۷۸ش.
- ۵- هرودوت. تاريخ هرودوت. چاپ سوم. تلخيص و تنظيم ا.ج. اوانس. ترجمه وحيد مازندراني. تهران: انتشارات علمي و فرهنگي وابسته به وزارت فرهنگ و آموزش عالي. ۱۳۶۲ش